

الرائد حمدي بن يحيى ودوره القيادي في الولاية الرابعة خلال الثورة التحريرية

الدكتور / عبدالله مقلاتي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

في أبريل 2012 تم تكريم عائلة الشهيد حمدي بن يحيى من قبل سلطات دائرة سور الغزلان وجمعية محلية يرأسها شرفيا الرائد محمد صايكي، كانت فرصة لهذا الأخير أن يتحدث عن ذكرياته مع الشهيد وعن خصال هذا البطل المنسي، لم أكن أعرف إلا معلومات سطحية عن الرجل، فهو مغمور ولا يتوقف للحديث عنه إلا إذا تعلق الأمر بقضية لقاء الاليزي بين سي صالح وديغول، حيث كان مشاركا في الإعداد لهذا اللقاء التاريخي، وبسببه حوكم وأعدم في ظروف غامضة، ولكن لا شك أن ترقية هذا الرجل في سلم المسؤوليات ليصل الى عضوية مجلس قيادة الولاية الرابعة يؤكد أنه كان محل ثقة العقيد سي محمد بوقرة وصالح زعموم، وأنه كان مجاهدا من طينة الكبار، غير أن القدر حكم عليه بأن يكون بطلا منسيا مثلما حكم عليه بالإعدام في قضية مثيرة للجدل، وإحساسا منا بالظلم الذي تعرض له البطل مرتين ألينا على أنفسنا أن ننفض عنه الغبار، وفيما يلي تعريف بشخصه وبدوره في الثورة التحريرية وموقفه من قضية لقاء سي صالح - ديغول.

أولا/ التعريف بشخصية حمدي بن يحيى:

لا نجد في الأدبيات المؤرخة للولاية الرابعة تعريفا شافيا بهذه الشخصية، لعل السبب مرده تأخر إعادة الاعتبار للرجل الى منتصف الثمانينات من القرن الماضي بسبب قضية لقاء الاليزي، وشخ المصادر

التي تشجع على الكتابة عن فضاله وجهاده وأدواره. ولد بن يحي حمدي بن عمر بن المصطفى بسيدي عيسى- في 29 جاني 1934، وهو من عائلة محافظة معروفة بالمنطقة ترجع أصولها الى جنوب الحضنة، درس في المدرسة الفرنسية وفي الكتاب، وحاز ثقافة عالية باللغتين، وعرف عنه في صغره ميله لتعلم العربية ومبادئ الدين، وسجل عنه مقته للمستعمر وهو في ريعان شبابه، حيث تروي عائلته أن كرهه للمستعمر دفع به وهو في سن العاشرة الى أن يدل الجنود الأمريكيين على مكان بئر الماء الذي أخفاه الفرنسيون عنهم، كما انه كان يجتهد في محاربة الاستعمار بكل السبل الممكنة، وربما أدرك أن السبيل الأكثر نجاعة هو التعلم والفروسية، فهو كان شغوفا بمواصلة تعليمه، لم تكن الظروف تسمح له بمواصلة التعليم الاكاديمي الفرنسي فقرر أن يعوض ذلك بالتعليم العربي، لكننا لا نعرف الكثير عن مرحلة تعليمه هذه التي توجهها بدخول كلية الآداب بالقاهرة، مؤكداً أنه تلقى تعليماً في الروايات أو في مدارس جمعية العلماء الحرة، وأكمل في معهد عالي مثل معهد ابن باديس بقسنطينة أو الزيتونة بتونس، لكن المعطيات لا تسعف في تأكيد تفاصيل كل ذلك، كان ولوج هذه المدارس والمعاهد العربية يسهم في تكوين الشباب بالثقافة الوطنية ويدفع به لاحتضان المبادئ الوطنية التحريرية، كما نعرف كذلك أن حمدي تعلم في شبابه الفروسية والصيد وكان يجب التجوال مما جعله يتعرف على مناطق سيدي عيسى بشكل جيد، ويدرك حجم القيود التي يضعها المستعمر والمستوطنون في وجه الأهالي أصحاب الأرض⁽¹⁾.

وفي القاهرة التي انتقل إليها في ظروف لا نعرفها واصل دراسته في كلية الآداب بجامعة الملك فؤاد، عايش هناك أحداث المشرق العربي الحبلى بالتطورات، وخاصة ظهور القومية العربية ونجاح الضباط الأحرار، ونشاط الوفد الخارجي قبل وبعد اندلاع الثورة.

ثانياً/ الالتحاق بصفوف الثورة والمسؤوليات التي نهض بها:

كان لاندلاع الثورة التحريرية وقع مميز بين الطلبة الجزائريين المتدرسين في القاهرة، لقد أذيع خبر اندلاعها من صوت العرب بإذاعة القاهرة، وهب الجزائريون لمعرفة المزيد من مكتب الجزائر بمكتب المغرب العربي، هناك تعرفوا على ابن بلة وخيضر وايت أحمد، كانت ظروف التمدرس قاسية في القاهرة، حيث البعد عن الأهل وقلة الموارد المادية، ومع ذلك كانت رابطة الدم تجمع بينهم والشعور بواجب نصره الوطن تقرب بينهم، وأغلب الطلاب الذين نهلوا العلم من المدارس الحرة والمعاهد العربية كانوا مستعدين للتجنيد في هذه الثورة والمساهمة

1 - انظر مثلاً، عبدالقادر نور: المصدر السابق، والمهيدي غوتي: رحلة المصير مذكرات مجاهد، منشورات دار الاديب، وهران، 2007. ومحمد صالح شيروف: هواري بومدين رحلة أمل واغتيال حلم، دار الهدى، الجزائر، 2011.

في تحرير بلدهم، وبعضهم جندهم ابن بلة من الوهلة الأولى⁽¹⁾، كان حمدي معايشا لهذه الظروف ولكن اغلب المذكرات التي خطها طلاب القاهرة لم تتحدث عن الطالب حمدي بن يحيى، ومنها ما خطه عبدالقادر نور والمهيدي غوتي. إلخ⁽²⁾، فهل مرد ذلك الى أنه لم يكن شخصية طلابية بارزة أم هناك أسبابا أخرى؟. في فيفري 1955 قرر حمدي بن يحيى الالتحاق بصفوف الثورة، وقد انتظر فترة قصيرة ليتم تجنيده عن طريق ابن بلة، كانت طلبات الالتحاق في البداية كثيرة ويتم انتقاء الطلبة المؤهلين حسب الإمكانيات المتوفرة، أرسلت منذ مارس 1955 دفعات الطلاب المديرين الى أرض الوطن، وقد قدر لبعضها الوصول بنجاح مثلما هو الحال بالنسبة ليخت دينا الذي جاء على متنه الطالب هواري بومدين، وتعرضت أخرى للإحماض مثلما حدث لسفينة أتوس التي نقلت شحنة سلاح ودفعة طلبة مدرسين منهم محمد الهادي حمدادو ومحمد صباح⁽³⁾.

تلقى حمدي تكوينا في الأكاديمية العسكرية بمصر، سمح له بامتلاك مهارات وقدرات عسكرية سوف تنفيده في مشواره الجهادي، والتحق بالداخل في جانفي 1957 عبر تونس، عاد الى مسقط رأسه مجاهدا ومسؤولا معولا عليه في تقديم خدماته العسكرية والسياسية للثورة، تولى في البداية مهمة التدريب وكلف بمسؤوليات عدة، منها قيادة الثورة بناحية سيدي عيسى وسور الغزلان⁽⁴⁾.

عين حمدي قائدا سياسيا وعسكريا للمنطقة الأولى من الولاية الرابعة، ثم للمنطقة الثانية من الولاية السادسة، والتي أنشأها بوقرة في جويلية 1957 اثر استفحال تمرد الشريف بن سعدي وجعلها تابعة لولايته، كانت مهمته في غاية الحساسية، وقد طلب منه بوقرة إنجاح استراتيجيته في إعادة النظام للمنطقة الجنوبية، لقد قرر في غياب لجنة التنسيق والتنفيذ التصرف منفردا بضم منطقتين من الولاية السادسة تولى إدارتها مجلس يقوده حمدي، كان من بين مهامه الأساسية في قيادة المنطقة إرجاع الثقة بين جبهة التحرير والسكان وتفادي وقوع أزمة أخرى شبيهة بأزمة بن السعيد، كما كلف بوقرة كومنندو علي خوجة بمحاصرة المتمردين، وعين الطيب الجعلالي قائدا للولاية السادسة، وهو الإجراء الذي لم يعجب لجنة التنسيق والتنفيذ⁽⁵⁾.

1 - عبدالقادر نور: المصدر نفسه، ص 29

2 - شهادة صايكي، أدلى بها في مهرجان تكريم عائلة الشهيد، تغطية موقع "أنجاد سيدي عيسى" على الأترنت.

3 - شايد حمود: دون حقد ولا تعصب صفحات من تاريخ الجزائر الحاررية، ترجمة كابوية عبدالرحمان وسالم محمد، دحلب، الجزائر، 2010 ص 264، 263

4 - محمد صايكي: مذكرات النقيب محمد صايكي، شهادة تاجر من قلب الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2003، ص 48

5 - محمد صايكي: المصدر السابق، ص، ص 48، 49

واجه حمدي صعوبات جمة في مواجهة قوات بن السعيد الحركي، وحقق في مهمته إنجازات باهرة، واثرتولي سي الحواس قيادة ولاية الصحراء أصبحت منطقة سي حمدي الأولى تابعة للولاية الرابعة وتسمى بالمنطقة الرابعة، كانت تضم ثلاث نواحي، الأولى سور الغزلان والثانية سيدي عيسى- والثالثة البرواقية، ساهم سي حليم في تنظيمها وجعل في كل ناحية كتبية أساؤها على الترتيب هي: الحاكمية، زبانة، الجلولية⁽¹⁾، وقد تحدث صايكي الذي عمل بالمنطقة وتعرف على قائدها عن تنظيمها ومعاركها، وسجل انطباعه عن قائد المنطقة قائلا: " ... ولم تقتصر معارفه على الأجهزة العسكرية فحسب، بل امتدت لتشمل فنونا من الأدب العربي، فلقد كان شاعرا ثوريا، مشغوقا بكل ما يهز أحاسيس المجاهدين وينبل شخصيتهم، ومما قال في جبل بوقعودن القريب من سور الغزلان:

إن بوقعودن صار لنا
رباه حرام على الظالمين

شعار يمثل أبطالنا
والزائر ثلاثة فيه لنا

ومما قاله في جبل ديرة:

سل عنا ديرة تسل الحدر
وفي المالح لنا يوم آخر

كتبنا عنها جماد صور
وفي الزبير الفخم ليس بلينا

وآل به حسن سمته وجميل أخلاقه، ورفعة كرمه الى اكتساب ود المجاهدين واحترامهم، وبر المسؤولين وانتباههم⁽²⁾.

وقد استطاع سي حليم أن ينظم منطقته ويجعلها نموذجا بين المناطق، كان مركزه في بوقعودن، وفي عام 1958 سجلت الشهادات أن قوات النواحي وكتائبها، وخاصة كتبية علي خوجة والزبيرية خاضت عشرات المعارك الناجحة وألحقت بالعدو خسائر كبرى، وان ذلك يرجع الى حكمة القائد وحسن تديره وسياسته⁽³⁾.

وفي جويلية 1958 تقرر ضم المنطقة الرابعة من الولاية الرابعة الى الولاية السادسة، وترأسها علي بن مسعود، وقد أسندت لسي حليم قيادة المنطقة الأولى، حيث أكمل مسيرته الجهادية الى غاية منتصف عام 1959 .

1 محمد صايكي: المصدر نفسه، ص 52

2 خضر بورقعة: مذكرات الرائد سي خضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 63.

3 محمد صايكي: المصدر السابق، ص 264-265.

ثالثا / عضوية حمدي في مجلس الولاية الرابعة وقضية الاليزي:

بعد استشهد سي بوقرة في 5 ماي 1959 قرر سي صالح وبونعامه خلال اجتماع عام لأركان الولاية توسيع مجلس الولاية ليضم النقيبين لخضر- بوشمع وحليم، وأرسل هذا المقترح إلى الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان للترقية، ولكنها لم تقم بأي رد فاضطرت الولاية لمجاهدة الأخطار بمبادراتها، وخلال اجتماع الولاية يوم 14 جانفي 1960 تم تأكيد التعيين السابق، وقد ذكر لخضر بوقرة أن سي حليم رقي لهذا المنصب بناءً على ما يتمتع به من ثقافة واسعة وكونه تخرج من الكلية الحربية المصرية⁽¹⁾، وخلال هذا الاجتماع تم تبني أجندة العمل المستقبلية، ومنها تنفيذ القرارات المتخذة في اجتماع قادة الولايات في ديسمبر 1958، وكذا توزيع المسؤوليات بين مجلس القيادة، استقر سي صالح في مجلس القيادة، وكلف بونعامه بالرقابة والاتصال بالولاية الخامسة، وأما سي بوشمع وسي حليم فكلفا بمهمة الاتصال بالولايات الأخرى وبالخارج⁽²⁾.

كان سي حليم مرسل سي صالح إلى قيادة الولاية الأولى آنذاك مصطفى ابن النوي، وبالمناسبة حمل رسالة مؤرخة في 18 فيفري 1960 توضح طبيعة مهمته جزئياً بالقول: " وطبيعياً فإنه من الحذر بمكان ألا نشرح لكم المشاكل التي تهمنا، لكن الرائد حليم سيوضح لكم تفاصيل كل الأشياء، إنني أتمنى بكل قلبي أن تتعاون جميعاً لحل تلك المشاكل، وإنني لمتيقن بأن تلك الحلول ستعود بالنفع على الجزائر"⁽³⁾، إن سي صالح يشير إلى ضرورة التنسيق لتجسيد ما اتفقت عليه الولايات نهاية عام 1958 لتخطي المشاكل التي تعانيها الثورة. وفي الرسالة ذاتها يشير سي صالح إلى أن سي لخضر- بوشمع سيرافق سي حليم للتوجه إلى تونس للاتصال بالحكومة المؤقتة⁽⁴⁾.

إن الرائدتين المرسلتين إلى الولاية الأولى لم ينجزا مهمتهما وقررا تحت تأثيرات ملتبسة وفي ظروف غامضة الدخول في اتصالات مع السلطات الفرنسية بالمدينة قصد التفاوض، كان واسطة الاتصال قاضي المدينة المسمى مازيفي الذي ضمن ربط الاتصال مع السلطات العليا الفرنسية، وكان الهدف هو مباشرة التفاوض على مبدأ وقف إطلاق النار وتقرير المصير الذي دعا إليه ديغول منذ سبتمبر 1959⁽⁵⁾. شارك

1 انظر نص الرسالة ، محمد صايكي: المصدر السابق، ص 326-329

2المصدر نفسه.

3 انظر حول ملائسات القضية. بوعلام بن حمودة: الثورة الجزائرية ثورة اول نوفمبر 1954 معالمها الاساسية. دار النعان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 477-481.

4 انظر نص الرسالة الموقعة في 22 مارس 1960 كاملا، لخضر بوقرة: المصدر السابق، ص 320-329.

5 - C h a t, dos, h2879, et Gilbert, Meyneir, Harbi Mohamed, Histoire interieure du F L N, 1954 _1962, Casbah, Alger, 2003,P 481.

سي بوشمع وسي حلیم وسي عبداللطيف في تلك الاتصالات، واقتنعوا بأهميتها في حل المشكل الجزائري ووقف القتال الذي تضرر منه الداخل في ظل تماطل القيادة في الخارج، حيث نلاحظ في رسالة بوشمع للحكومة المؤقتة أن دافع نية المبادرة الحسنة كانت حاضرة والمقصود هو تحقيق الاستقلال بأقل التكاليف، وقد يكون عامل الانتقام من قيادة الخارج حاضرا، إذ كانت لهجة الرسالة حادة في طلب التفويض من اجل المبادرة بدل فضح سياسة القادة في الخارج، وأكدت أخيرا أن المبادرة دافعها المصلحة الوطنية العليا⁽¹⁾، هل كان سي حلیم شريكا مقتنعا بفكرة الاتصال بالسلطات الفرنسية أم أجبر على قبولها مثلما حدث لسي- صالح وبونعامه؟، نلاحظ أن سي حلیم كان مرافقا لبوشمع منذ البداية، الاتصال بقاضي المدينة، وحضور اجتماع المدينة بالمسؤولين الفرنسيين في مارس 1960، ولكنه غاب عن اجتماع 2 جوان الحاسم، الذي جمع فيه بوشمع سي صالح بالمسؤولين الفرنسيين ورتب اللقاء مع ديغول يوم 10 جوان، كانت المبادرة إذن مقصورة على الرائدین والنقيب سي عبداللطيف، وقد أجبر سي صالح وبونعامه على قبول المبادرة، وان كانت رسالة سي صالح الى الحكومة المؤقتة في أفريل 1960 توضح أن قيادة الداخل التي تعاني كثيرا يجب ألا تبقى مكتوفة الأيدي والحليش والشعب يباد⁽²⁾، هل كان الشعور بتقصير الخارج جاعيا ويجد له قناعة راسخة، هذا ما تشير الى المصادر وإن كانت توضح أن سي بوشمع كان أكثرهم نعمة على قيادة الخارج، وهو ما دفعه للمبادرة التي كان الجو مناسباً لتبنيها.

إن التحقيق الذي أجراه الرائد لخصر بورقعة - محبط لقاء الإليري - بخصوص هذه القضية يحمل مسؤولية المبادرة الى الرائد بوشمع، الذي يكون - حسب - جر ورائه أولا سي حلیم وسي عبداللطيف⁽³⁾، هل كان سهلا لمخادعة سي حلیم أم أن الرجل كان مقتنعا بالفكرة وحسن النية؟، لقد اغتيل سي حلیم سريعا دون أن تتاح له فرصة التعبير عن رأيه، وهو ما يصعب إجلاء حقيقة موقفه. بعد عودة الوفد في 11 جوان انعقد اجتماع الولاية بحضور حلیم، اتخذت عدة قرارات منها سفر سي صالح وحليم الى الولاية الثالثة لعرض المشروع على قيادتها، وخلال ذلك قرر بونعامه وأد المشروع بمساعدة لخصر بورقعة ونجيد بوساحة، ونجح في ذلك مستعينا بإطارات المنطقة الثانية والخامسة، وقد اعتبر أن عضوي قيادة الولاية بوشمع وسي حلیم يتحملان مسؤولية ما جرى، وقرر اعتقالها ومحاکمتها رفقة سي عبداللطيف وإقالة سي صالح من مهامه، والتنكر لمشروع المفاوضات، بادر الى اعتقال بوشمع وعبداللطيف لمحاكمتها.

1 - لخصر بورقعة: المصدر السابق، ص 82.

2 - لخصر بورقعة: المصدر السابق، ص 88-89.

3 - نجيد صايكي: المصدر السابق، ص 263 - 269.

طلب بونعامة من بوشمع تحرير تقرير مفصل عن دوره في لقاء الاليزي، فأورد في تقريره أن دافعه الرئيس كان استجابة لنداء ديقول بتجسيد تقرير المصير خاصة وأنه لم يعد يثق في قادة الثورة المتعاسين بالخارج، وأن هدف المفاوضات هو تحقيق الاستقلال التام للجزائر، لم يشغ ذلك التقرير شيئا فقد أقدم بونعامة سريعا على إعدام بوشمع ولعل ذلك تم بدون محاكمة، وبعده أتى الدور على النقيب سي عبداللطيف الذي حمل مسؤولية الاتصال بالفرنسيين الى بوشمع، ومع ذلك فان مجلس المحاكمة الذي حضره بورقعة وبوساحة كان متشددا في إصدار حكم الإعدام عليه، ولم يتبقى سوى انتظار عودة سي صالح وسي حليم من الولاية الثالثة، حيث فاتحا العقيد أولحاج في موضوع الاتصالات، بادر بونعامة لمكاتبة أولحاج يحذره من التعامل مع الرجلين ويناشده الحفاظ على سلامتها حتى يعودا الى مقر ولايتها سالمين، بعد نحو شهرين عاد سي صالح وسي حليم الى الولاية لمواجهة المحاكمة، كان بإمكانها عدم الحضور أو طلب اللجوء من السلطات الفرنسية لحماية حياتها، ولكنها كانا وطنيين فضلا للعودة للدفاع عن موقفها، ويذكر سي لحضر- بورقعة أن وصولها تصادف مع وصول ابن الشريف مبعوث القيادة من تونس يوم 16 سبتمبر 1960، وأن ابن الشريف انفرد بونعامة للبحث في قضية سي صالح وسي حليم، وخرج ليوجه كلاما جارحا لسي- صالح، وأثناء ذلك قيد سي حليم وأعدم بسرعة، كان بورقعة شاهدا على جريمة اغتياله الظلمة دون محاكمة "... كان الليل قد أظلم وحجب عنا الرؤية، وما أن ابتعدت قليلا حتى سمعت حركة غير عادية، تراجعت على إثرها الى الوراء فإذا بي ألقى "حليم" وقد قيد بالحبال، ولم أدري وقتها إن كان بأمر سي بونعامة أو باتفاقه مع ابن الشريف. وقع حليم قيد الأسر مكبلا بالحبال التفت الى سي صالح في نظرة رجاء يستجديه العطف والدفاع عن النفس لكن سي صالح صوب نظره الى الأرض وقال بصوت مسموع (على مراد الله) ودون أية محاكمة عادلة أعدم حليم فوراً في عين المكان حتى أنه لم يعط الفرصة لكتابة تقريره على غرار رفائله الآخرين...")⁽¹⁾. كان مصير سي حليم الإعدام بسبب قضية ملتبسة في حين عرضت قضية سي صالح على الحكومة المؤقتة التي طلبت إرساله الى تونس للمحاكمة واستشهد في الطريق، ليسدل الستار على قضية الإلزي في ظروف مضطربة مرت بها الولاية الرابعة، كان سي حليم ضحية مبادرة خطيرة، أقدم عليها بحسن نية، وكانت العقوبة شديدة على رجال مخلصين، رجال ما يزال رفاقهم يذكرون إخلاصهم ووطنيتهم رغم كل ما وقع من لبس، ومنهم الرائد صايكي الذي قال أن إعدامهم كان من الموبقات الكبرى والأخطاء الفادحة⁽²⁾، والرائد لحضر-

1 لحضر بورقعة: المصدر السابق، ص 81

2 إبراهيم شرقي : في قلب معركة "مدينة الجزائر" تقديم زهير احادان، منشورات دحلب، الجزائر، 2014م، ص ص 19-20

بورقعة الذي أنصف في شهادته سي صالح وسي حليم وسي عبداللطيف وحتى سي بوشمع الذي قال أن نواياه كانت مخلص⁽¹⁾.

الخاتمة:

ومن خلال ما سبق ذكره نخلص للتأكيد بأن حمدي بن يحيى شخصية بارزة في تاريخ الولاية الرابعة، وعلى الرغم من عضويته قيادة الولاية في مرحلة حاسمة ودوره السياسي والعسكري الهام فإنه تعرض للتهميش، ولعل مرد ذلك يرجع الى قضية اغتياله لمشاركته في التحضير للقاء الإليزي، وهي تهمة غير ثابتة كما أسلفنا، ومع ذلك فقد أعيد له الاعتبار، وعد واحدا من رموز الثورة وإطاراتها الذين تعرضوا للتصفية دون وجه حق، وتحمل اليوم عدد من المؤسسات اسمه، إن هذا لا يكفي بل يتوجب أن نرد له الاعتبار في تأريخنا لثورتها وعده واحدا من رموزها وقادتها في الولاية الرابعة.

1 حول تأسيس حزب الشعب بالتفصيل ينظر: محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ترجمة: أنجيد بن البار، دار الامة، دط، برج الكيفان، الجزائر، 2011م، ص 667 وما بعدها .